# عجائب المخلوقات

## عروس البحر

## أو الجنية في عرف الزيفيين المعربين

للأستاذ عوض حبيدي

حيوان بحري يتغذى بالحشائش البحرية المغذية التي تنبت تحت سطح الماء . وهو لطيف ، سهل الاستئناس ، لذيذ اللحم . وتسمى أنثاه « حورية الماء أو بقرة البحر » وهي من الحيوانات الأليفة اللبون . وتشبه عجل البحر في طول جسمها . وليس لها أعضاء خلفية ، بل ذنب عريض مستدير ، يقوم لها مقام المقذاف فيدفعها إلى الأمام حين تسبح وجلدها سميك . وتبلغ ثخانته نحو قيراط « بوصة » ويختلف طولها من ١٥ قدماً الى ١٨ قدماً . وتقوم أعضاؤها الأمامية مقام اليدين فتحمل بها الأنثى صغارها حين ارضاعها اياها . وعندما تظهر فوق سطح الماء لتتنفس تبدو كامرأة تستحم في الماء .

ونحن لكتب هذه السطور وأمامنا في المرجع الانكليزي صورة ابن البحر . وذلك نقلاً عن رسم قديم رسمه المؤرخ امبروزيتوس . وهو يمثل ذكر بقر البحر أوفى تمثيل . وفي هذا العدد يقول المؤرخ نفسه « كان سكان الأقاليم المحيطة بالبحر الأحمر ، يزعمون أن حوريات الماء ، هي من نسل جبل قرعون ، التي نجت من الغرق في البحر الأحمر ، حينما كانت تقتفي آثار بني اسرائيل »

فبنت البحر إذن ، هي المصدر الحقيقي للأساطير الموضوعة بشأنها . ومنها زعم بعض القدماء أنهم شاهدوها خارجة من البحور ، رابضة على الصخور . فاذا هي امرأة جميلة ذات رأس بشري وذنب حرشفي كذنب السمكة . وانها كثيراً ماترى وهي تمشط شعرها الذهبي أو اللؤلؤي المسترسل الجميل . بينما تمسك بيدها مرآة لتتمكس بها صورتها الجميلة على الأمواج . ولما قالوه أيضاً « إن عرائس البحر يفتن عشاقهن فيستدرجهم الى جوف البحر حيث يلاقون الموت الزؤام . وانهن يغادرن مأواهن في المحيطات لينزوجن بالبشر

ثم تنتهي آجال بعولتهن بفواجع . وقد رويت كذلك بعض الروايات على ذكور بقر البحر ولكن ليس لهؤلاء شأن عظيم في الأساطير ، مثل أنانهن أي بقرات البحر . »

وعروس البحر ذات وجه يشبهه في جمال البحر . ويكاد يضارع وجه البشر في هيئته . ومتى أرادت أنانها إرضاع صغارها ، أبرزت عضوها الأمامي من الماء وحملت عليه رضيعها وأرضعته مثل الأم الآدمية . وروى كولمبس أنه رأى ثلاثاً من عرائس البحر . وذلك في سياحته الأولى الى جزائر الهند الغربية ، قصد اكتشافه لأمريكا . غير أنها لم تكن بارعة الجمال كما كان يعتقد من قبل . وروت جريدة المقطم في ١٠ يناير سنة ١٩٢٨ خبراً مفاده أن رجلاً يونانياً وصل الى بورسعيد ومعه سمكة غريبة جزؤها الأسفل على هيئة سمكة طولها ثلاثة أمتار ووزنها ٢٥٠ أوقة . اصطادها من خليج دجوى بجنوب أفريقية وقال إنه سيعرضها في بور سعيد والاسماعيلية والقاهرة والاسكندرية ثم يعرضها في أوربا .

والقصص التي ألفها المكتشفون الأوائل الذين اكتشفوا جزائر الهند الغربية وغيره جزيرة فلوريدا ، وذلك في موضوع عرائس البحر وذكورها ، تدور جميعها على الأوصاف الأولى الخاطئة الخاصة بها . وخواها أنها مخلوقات نصفها بشري ونصفها الآخر سمكي » .

ويذكر جيداً كاتب هذه السطور أنه في طفولته منذ ستين سنة ، شاهد عروساً بحرية جلبها أحد الصيادين الأجانب الى القاهرة وعرضها في معرض صغير بشارع السبتية بالقاهرة وكان ذلك في حانوت قديم مواجه للمبنى الجديد القائمة فيه الآن مطابع السكة الحديد . وكان عماله يعلنون عنها صائحين قائلين « تفرج وشوف عجائب البحر ، حيوان نصفه سمكة ونصفه بني آدم » فكانت المارة تقبل على مشاهدتها أفواجاً من كل حدب وصوب . وكنا نرى في رأسها خصلات من الشعر .

ولا تستطيع عروس البحر مغادرة المياه التي تعيش فيها لأن تركيب جسمها التشريحي لا يتيح لها ذلك . وهذا فضلاً عن كونها ليست لها أداة تدافع بها عن نفسها ، حيال بطش الوحوش البحرية والبرية . التي تصادفها فتراها تلجأ الى المياه الضحلة حتى اغتيالها .

وقال العلامة الدكتور الكسندر بل « لقد كانت هذه المخلوقات البدينة ، غير المؤذية تحتشد في مياه أنهار شبه جزيرة فلوريدا وخلجانها ومستنقعاتها ، حيث نزل البيض في أمريكا أول مرة . ولا شك أنها تكاد تنقرض كما انقرضت من قبلها الجواموس ، إذ لم يبق منها الا قطيع واحد يأوي الى مياه نهر ميامي ، حيث حجز وقاية له من الفناء . ولذلك اتخذ ولاة الأمور هناك الوسائل الفعالة لحراستها وزيادة عددها . فأصبحت مصدراً

عظيماً من مصادر الغذاء لكان فلوريدا . وسوف يحل زمن ينتفع فيه العالم بهذا الحيوان العجيب ، النفع المنشود .

وبناء على ذلك اشترعت حكومة فلوريدا ، شرعة تقضي بغرض غرامة قدرها مائة جنيه انكليزي على كل شخص يتعمد قتل عروس بحر . ولا غرو فلحمها يشبه لحم أضلاع العجل « الكستليتة » أو لحم الخنزير أو لحم البقر الغض . وقد أجمع الخبراء على الاطناب في بياضه ولذته وجودة نكهته . وإذا ملح صار كلحم الخنزير الفاخر ، وظل صالحاً للأكل زمناً غير قصير . وكثيراً ما يتلح الدب ، ويؤكل باردا . وهو يعد من ألذ المأكولات . وطبقة شحمها الصفيقة تعادل زيت كبد الحوت ، بل تفوقه في خلوها من كراهة الطعم ، ورداءة الرائحة وهذا فضلاً عن خلوها من عسر الهضم . أما عظامها فثينة جداً وكثيفة وخالية من التجاويف . فتحل محل العاج في الصناعة .

قلت : ليت أولي الأمر في حكومتنا المصرية يعنون بالحصول من حكومة فلوريدا الامريكية على ذكر وأنثى من عرائس البحر قصد تربيتهما في معهدنا الخاص بالأحياء المائية فنجني منهما خيرات جزيلة .

ويصيد أهالي الشواطىء الشمالية في أستراليا عرائس البحر للانتفاع بلحمها ، إذ هو كما سلف القول ، من ألذ الأطعمة وأدسمها وأنفسها . ومتى ملح لحمها ، غدا كلحم أو شحم الخنزير المملح . فيلذ أكله للجنس الأبيض من بني البشر . ومنه يستخرج زيت يستعمل مقوياً للجسم ، يفضل زيت كبد الحوت وكانت عرائس البحر في غابر الزمن ، تصاد بالحراب . فكان يقتل منها كل سنة ، طائفة كبيرة . أما الآن فقد أصبحت تحفل منها . فيصيدها الصيادون بشباك طويلة متينة . ومع كون عروس البحر تعيش في الماء ، فهي ليست سمكة ، بل حيوان لبون كالبقر وعجل البحر .

ويتوقع الباحثون أنه لا ينقضي زمن طويل على العناية بها ووقايتها من الانقراض ، حتى تعم منافعها ، وتقدم لحومها في كثير من الأقطار ، على الموائد ، بدلاً من لحوم البقر البري وغيره .

ولعروس البحر بدال كأنهما زعنفتان . وموطنها البحار الاستوائية ، بين البحر الأحمر واستراليا . والعرب تصيد عرائس البحر من البحر الأحمر . وتتخذ من جلدها نعالاً للحمالين .

وجاء في كتاب عجائب المخلوقات ، في وصفها : — أنها ذات وجه كوجه الانسان وبدنها

عروس البحر

كبدن السمك . وعلى وجهها نقط . وتظهر على وجه الماء . ويقال لها الأطم . وعليها شعر غزير وليس لها حراشف . وتوجد في بحر الصين . ولها ورج كالمرأة . ووجهها كوجه الخنزير .

وذكرت جريدة « أخبار اليوم » في لمحتها بتاريخ ١٠/٧/١٩٤٨ الخبر الآتي —

ظهرت حديثاً حوريتان من حوريات البحر على شاطىء أفريقية الجنوبي . بمدينة الكاب فاصطاد أولاهما صياد بشبكته . وكانت تنظر للصياد بوجهها الذي يكاد يشبه وجه الانسان ، بينما كان باقي جسمها يلتوي يميناً ويساراً . ثم أرسلت الى نيروبي حيث تحنط وتحفظ بها في متحف الأحياء المائية . أما الثانية فان صياداً زنجياً كان يجوس خلال الساحل حين رأى وجهاً كوجه الانسان يتطلع إليه من فوق سطح الماء . ثم لم تلبث الحورية أن رفعت رأسها وقفزت من الماء ، فظهر صدرها الأبيض الجميل الذي يكاد يشبه صدر الفتاة المذراء . فهم الصياد بريد اقتناصها . ولكنها لم تلبث أن ولت هاربة واختفت وسط الأمواج . وقد أبصر كاتب هذه السطور ، حورية بحر محنطة وذلك في القسم الشرقي للمعرض الزراعي الصناعي السادس عشر الذي كان يطلق عليه اسم « جناح وادي النيل » وروت جريدة الأساس بتاريخ ٣١/١/٤٩ أن رجال محطة البحوث المائية في الغردقة عثروا في شهر ديسمبر ١٩٤٨ على جثة إحدى عرائس البحر . وكانت طافية فوق سطح الماء . وبعد جذبها بالشباك الى المحطة حنطها المتخصصون ووضعوها في مكان خاص بالمتحف الملحق بالمحطة. قلت وأظنها هي العروس البحرية نفسها التي كانت معروضة سنة ١٩٤٩ في المعرض الزراعي الصناعي ، بين معروضات البحر الأحمر .